دار الوطن
٢٠٦

الآداب المرعية لمن حجَّ أو اعتمر بيت ربِّ البريَّة

إعداد
عبد الرحمن اليحيى

راجعها فضيلة الشيخ
علي بن عبد الخالق القرني

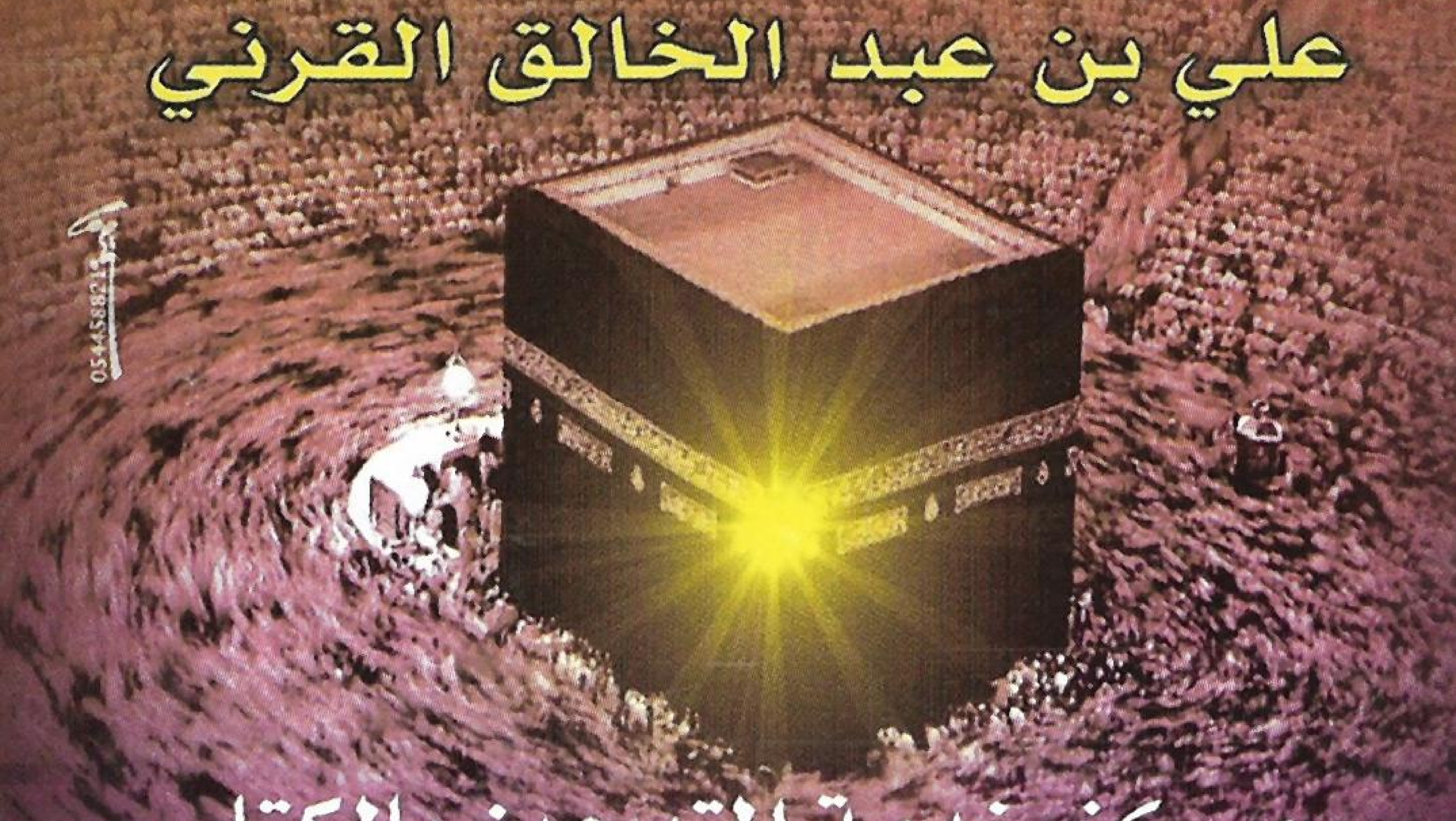

مركز خدمة المتبرعين بالكتاب
الرياض- ص.ب ٣٣١٠- هاتف ٤٧٩٢٠٤٢- فاكس ٤٧٢٣٩٤١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

* فقد أكرم الله هذه الأمة من بين سائر الأُمم، وخصَّ هذا الدين من بين سائر الأديان بالحج إلى بيته الحرام، فلم يُعرف في تاريخ الأديان والشعوب والأُمم نُسُك يضاهي هذه العبادة أو يساميها في التأثير وربط القلوب بعلام الغيوب، فسبحان من جعل بيته الحرام مثابة للناس وأمناً، يترددون إليه كل عام، ويرجعون عنه ولم يقضوا منه وطراً، وذلك لِمَا جَعل الله في القلوب من الحنين والشوق إلى البيت العتيق، فيظل الرجل طوال عمره يكدح ويجمع النفقة التي تُبلِّغه البيت الحرام.

* **وسبحان من جعل بيته قياماً للناس وأمناً، فلا يزال العالَم قائماً ما دام هذا البيت قائماً،** وإذا أراد الله أن يدمِّر العالَم سلَّط على البيت الحرام ذا السويقتين من الحبشة في آخر الزمان فيهدمه، وإذا هدمه قامت الساعة.

* **وسبحان مَنْ جَعَلَ القلوب تهفو إليه وتحن وتأن شوقاً لرؤيته رغم كثرة تكاليف الحج ومشاقه وما فيه من تعريض النفس للأخطار،** فيخرج الحاج أو المعتمر من بيته فيفارق الأهل والأوطان شهوراً، ويتحمل المشاق والأخطار، فيركب البحار حيناً،

ويقطع البراري حيناً، وما يتبع ذلك من قبول التزامات الإحرام ومحظوراته، كل ذلك كفيل إذا أدَّى الحاج هذه العبادة على أحسن الوجوه وأكملها، وبذل كلَّ ما في وسعه أن يرجع من بيت الله الحرام من ذنوبه كيوم ولدته أمه، **ولكن ينبغي على المسلم الذي منَّ الله عليه ببلوغ بيت الله الحرام أن يتعاطى الآداب والأسباب التي تجعل حجَّه مبروراً، وسعيه مشكوراً، وذنبه مغفوراً، ومن هذه الآداب:**

(١) أول ما يجب على الحاج أو المعتمر إذا نوى الحج

التوبة، وهي تجب على كل مؤمن، فهي لا تختصُّ بالعصاة بل تشمل الجميع، فيحتاجها المطيع حتى يثبته الله على الطاعة، ويحتاجها العاصي حتى تشمله الرحمة، فالتوبة غسيل للذنوب، وسبب للرحمة، وستار للعيوب.

* **وليس معنى التوبة أن تردد بلسانك مائة مرة استغفر الله، فهذا لا يكفي، بل رُبَّ استغفارة واحدة مع إقلاع عن الذنب خير من ألف مرة بلا إقلاع**، وأنا أذكر قصة رجل عاتبه أحد الفضلاء على ترك الصلاة فقال: لماذا لم تصلِّ معنا؟ فقال: الله غفور رحيم، قال: يا هذا، إن الله قال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، فلا ترتكب المحرمات وتعوِّل على المغفرة بلا توبة ولا عمل،

ومن تحقيق التوبة ردُّ المظالم إلى أهلها.

(٢) إذا خرجت من بيتك قاصداً بيت الله الحرام فاحمد الله أن اختارك من بين أمم كثيرة وجعلك ضيفاً عليه في رحاب بيته العتيق، فكم من قلوب حنَّت وتمنَّت بلوغ البيت الحرام فما استطاعت، وربما اخترمتها المنايا وسط البحار أو القِفار، واعلم أن الذي أخرجك من بيتك هو الله، ولو شاء ما أخرجك لبيته ولرحمته ولرضوانه، واختارك من بين الملايين رحمة منه لك، واختارك وأنت أفقر ما تكون إليه وهو أغنى ما يكون عنك، فقل بكل قلبك: اللهم لك الحمد، **واعلم أن الشكر مبني على خمس قواعد:**

١ ـ خضوع الشاكر للمشكور. ٢ ـ حبِّه له. ٣ ـ اعترافه بنعمه. ٤ ـ وثنائه عليه. ٥ ـ وألا يستعملها فيما يكره.

(٣) الإخلاص لله، يقول ابن تيمية: **فإخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله ديناً سواه، فلا قيمة للعبادات ولا للأقوال ولا للأعمال ولا للأفعال ما لم تكن مبنية على الصدق والإخلاص لله العظيم**، ففي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حجَّ لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**» فيحج لله طلباً لفضله وابتغاء رضوانه لا لأي غرض من أغراض

الدنيا، فما كان للدنيا فهو يذهب مع الدنيا يوم يخرج منها.

(٤) **ترسُّم هدي النبي ﷺ في الحج والاهتداء بهديه واتباعه في كل صغيرة وكبيرة**، فأولى الناس بالخير إذا عملوا به من اتبع هديه ﷺ، وأولى الناس به من اتبعه، فلن تنال الجنة ولا محبة الله إلا باتباعه ﷺ، فهو صراط الذين أنعم الله؛ فاسأل العلماء في كل موقف ما هو هدي النبي ﷺ، فإن فعلت ذلك فقد هديت ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وأكمل الناس في الحج من اهتدى بهديه ﷺ.

(٥) **يحرم على من أوجب على نفسه الحج الرفث وهو الجماع ومقدماته القولية والفعلية** وهو يشمل ثلاثة: العقد، والمباشرة، والجماع. وقد أجمع العلماء على أنَّ من جامع أهله فسد حجه، وذلك وفق ضوابط معينة.

(٦) **يحرم أيضاً على من أوجب على نفسه الحج الفسوق وهو الخروج عن طاعة الله بفعل المعاصي**؛ لأنه لا يتم التقرب إلى الله إلا بترك المعاصي. يقول شيخنا محمد الشنقيطي حفظه الله: **يجب على مَنْ نوىٰ النُّسُك أن يحافظ على بعده عن المعاصي، وأن يجتهد في طاعة الله، وينبغي للحاج أن يكون على علم بحرمة مكة وما لها عند الله من مكانة، فيجب**

على الحاج أن يحفظ أدب الجوار، وأحق الناس برعاية حرمة البيت هم سكان الحرم الذين شرَّفهم الله بجواره والسكنى فيه، ومَنْ أحدث في هذه الأماكن المحرَّمة كمكة والمدينة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ففي البخاري: «**المدينة حرمٌ من عيرٍ إلى ثورٍ، ومن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً**» أي نفلاً ولا فرضاً فيأتي يوم القيامة صفر اليدين لا صلاة له، والمقصود أن من شرَّفه الله بزيارة هذه الأماكن أو سكن فيها ينبغي عليه التأدب فيها، وكان بعض العلماء يعظِّمون مكة ولا يمكثون فيها إلا بقدر النسك، فكانوا إذا فرغوا من النسك عجَّلوا الرجوع إلى ديارهم، يخافون من زلات الأبصار والأسماع والجوارح خوفاً من الفتنة، ورعاية للمكان والحرمة.

* **وقد خرج ابن عباس** رضي الله عنهما من مكة إلى الطائف في آخر عمره وقال: «**لم يبق لي إلا الحسنات أخشى أن تذهبها حرمة هذه البنْية**»، يقول الله: ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج: ٢٧، ٢٨].

* **فينبغي لمن جاور بيت الله ولو أياماً قليلة أن يعظّمه**، ومن تعظيمه كثرة الصلاة فيه، والطواف

والعبادة وتلاوة القرآن، وهذا أمر أضاعه كثير من الناس، وقد يستخف الناس بحرمة البيت بسبب طول الألفة.

* **وكم نشاهد من أناس** يعصون الله في ساحات المسجد ويعلنون المعاصي سواء عن طريق البصر أو السمع أو الفؤاد، ومَنْ دَخَلَ الأسواق المجاورة شاهد ما لا تصدقه عينه وكأنهم لن يُسألوا عن تلك النظرات ولا عن الأسماع ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، فكن على حذر فالخير واضح وبيّن والشر واضح وبيّن، ولا يخفى إلا عن مَن تـ ـ ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

(٧) ويحرم على من أوجب على نفسه الحج الجدال والخصومات والنزاعات والمماراة لكونها تثير الشرَّ وتوقع العداوة، بل ينبغي للحاج أن يوطِّن نفسه على ترك الغضب والانتصار للنفس، ويُذَكّر نفسه بكلام النبي ﷺ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا**» [رواه أبوداود وإسناده صحيح].

* **فالحج** ما هو إلا أيام معدودات إذا جاهد الحاج نفسه وصان حجَّه عن كل ما يفسده أو ينقصه رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ولا تحسبنَّ هذه المغفرة تحصل بأدنى تعب بل لا يوصل إليها إلا

على جسر من التعب، واعلم أن المقصود من الحج الذل والانكسار لله، والتقرب إليه بكل ما أمكن من القربات، والتنزُّه عن الوقوع في السيئات حتى يكون حجك مبروراً، والمبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وهذه الأشياء ممنوعة في كل وقت ولكنها في الحج وفي بعض الأمكنة والأزمنة آكد.

(٨) ومن الأمور التي ينبغي مراعاتها في الحج الأخلاق الحسنة، فليس المهم رمي الجمار ولا الطواف ولكن المهم أن تتعلم الأخلاق الحسنة، وتذكِّر نفسك بحديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه» [رواه أبوداود وإسناده صحيح]. فينبغي أن تكون الرحمة شعاراً لك مع المسلمين، وبهذا وصف الله الصحابة بأنهم رحماء بينهم، وأن تكون معاملتك مع الحجاج بالرحمة قولاً وفعلاً وحالاً، وأن تتعامل معهم بالرفق خاصة إذا تعلقت مصالحهم بك، فترحم الحجاج وتدخل السرور عليهم وإذا حصل من بعضهم خطأ أو عنف اتسع صدرك لهم؛ لأنه قد تسوء أخلاقهم بسبب تحمل المشاق والسفر وكثرة التعب.

* **ومن الرحمة بالحجاج** الإحسان إليهم بالطعام والشراب وإشعارهم بأخوة الإسلام، فتسلم عليهم وتسألهم عن أحوالهم إن أمكن، وتظهر لهم

المودة، وكلما توغل الإيمان في سويداء القلب خرجت منه أدران الجاهلية؛ فتجد المؤمن موطأ الكنف، يألف ويؤلف يقول ﷺ: «**ألا أنبئكم بأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**».

(٩) ينبغي للحاج أن يوطن نفسه على الصبر ويُظهر الجَلَد ولو أصابته الشدة والضيق والنصب، **فالصبر ثلاثة: صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة**، وما يدريك أن ما تلقاه من ضيق وحرج وحرٍ وزحام يغفر الله بها الذنوب، وأن ذلك العرق والنصب يحط الله بها عنك الذنوب، وما تلقاه من همٍّ وحزن كضياع الرفقة أو النفقة أو الأهل يرفعك الله بها درجات في أعلى جنان الخلد لا تنالها بصلاة ولا صيام، **فينبغي للحاج أن يوطن نفسه على تحمل المشاق، وكلما أصابه نصب احتسب ذلك عند الله وأكثر من الاستغفار والحوقلة والاسترجاع** مع الحذر من تخذيل الشيطان أو الأهل، فقد يقولون لك: ما لنا ولهذا الزحام، ما الذي جاء بنا إلى هنا لقد كنا في سعة من هذا الحر، ولماذا كل هذا التعب الله غني عنا، إلى غير ذلك من كلمات التخذيل.

* **واعلم - أخي الحبيب -** إن الأمر موقوف على تيسير الله فاعتمد عليه، فكل يسيرٍ إذا لم ييسِّره الله فهو عسير، وكل عسير إذا يسَّره الله فهو يسير،

فاحرص دائماً على الدعاء وأنت تحرم وأنت تشرع في الطواف، وقبل كل عمل وسوف ترى لطف الله العظيم.

(١٠) ينبغي للحاج أن يحرص على أن يأتي بالحج كاملاً فلا يدخل عملاً مع عمل إلا بعذر، فما ترك بلده إلا ليزاحم وينافس فلا تزهد في الخير فكل حسنة في الحرم بمائة ألف حسنة بل قال النبي ﷺ لعائشة: «أجرك على قدر نصبك ونفقتك» فإياك والركون إلى الراحة والدعة والنوم.

* والحج مدرسة يُخْرِجُ الإنسان من الدعة والترف إلى الجد والاجتهاد، وقد سمَّاه النبي ﷺ جهاداً، وأكمل الناس في الحج وأعظمهم أجراً من أحب الحج وأقبل عليه بشوق ورضا، وحمد الله على أن يسَّر له الحج، وتذكر المحروم والمريض والميت الذي حُرم هذا الفضل؛ فأقبل على الحج وحرص على كل سنة، وأدى الحج بلا ملل ولا سآمة وحرص على أعلى مراتبه وعلى أركانه وواجباته ومستحباته بخلاف من لا يأتي من الحج إلا بقدر ما تبرأ ذمته.

تمت هذه الرسالة، وأسأل الله العظيم أن يجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *